لغز بائع البالونات



محمود سالم

لغز بائع البالونات

تأليف
محمود سالم



لغز بائع البالونات

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٣٩ ٥

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

رسالة من المفتش «سامي»

عندما عاد المغامرون الخمسة من إجازة الصيف التي قضَوها معًا في بورسعيد ... كانت في انتظارهم مفاجأة؛ رسالة من المفتش «سامي» أحضرها أحد الضبَّاط إلى منزل «تختخ» قبل حضورهم ببضعة أيام ... وأمسك كل واحدٍ من المغامرين بالرسالة لحظاتٍ يُحاول معرفة ما بها ... فقد اتفقوا على أن يستنتجوا ما أرسله المفتش «سامي» لهم قبل أن يفتحوا المظروف ... وكانت هناك عدة استنتاجات ... وكان استنتاج «لوزة» كالعادة أنه لغز يطلب منهم المفتش «سامي» ... أن يشتركوا في حلِّه.

وقال «عاطف» معلِّقًا على استنتاج «لوزة»: أخشى أن يأتي اليوم الذي تتصوَّرين فيه أن كل شخص يمشي في الشارع عنده لغز يطلب حلًّا!

ردَّت «لوزة» غاضبة: إنني أعتقد ذلك ... إن في حياة كل إنسان شيئًا غامضًا يُريد معرفته.

وحسم «تختخ» النقاش بأن فتح الرسالة ... وجلس المغامرون في الحديقة يستمعون ...

وكانت المفاجأة الثانية أن «لوزة» كسبت ... وأخذت تنظر إلى «عاطف» الذي أحنى وجهه هربًا من نظراتها الساخرة.

كان الخطاب كما قرأه «تختخ»:

أعزائي المغامرين الخمسة ...

تحياتي لكم جميعًا ... سألتُ عنكم وعلمتُ أنكم سافرتم إلى بورسعيد لقضاء الإجازة ... أرجو أن تكونوا قد قضيتُم إجازةً ممتعة ... وأكتب لكم هذه الرسالة ليلًا لأني سأُسافر صباحًا في مهمَّة خارج البلاد ... وقد وجدتُ أن في إمكانكم

المشاركة في حل لغزٍ عجيب من الألغاز التي تستهويكم ... وهو لغز جديد لم يسبق أن سمعتُ أو اشتركتُ في حل لغز مثله ... وأعتقد أنكم ستجدون فيه ما يستحق التفكير والبحث.

لم تتمالك «لوزة» نفسها فصاحت: يا سلام! ... شيء مثير ... مدهش!

عاد «عاطف» يُعاكسها قائلًا: انتظري ... ربما لا نستطيع حله!

قالت «لوزة» بمنتهى الثقة: إن المغامرين الخمسة لا يعجزون عن حلِّ لغز مهما كان غامضًا.

محب: أرجو أن تكُفَّا عن النقاش حتى نستمع إلى بقية الخطاب!

مضى «تختخ» يقرأ: لقد وقعَت سلسلةٌ من السرقات في ضاحيتكم الجميلة «المعادي» أثناء غيابكم ... سرقات بعضها شديد البساطة ... لا تزيد المسروقات فيها عن بضع مئات من الجنيهات ... وإحداها سرقة لتحفة فنية غالية ربما لا مثيل لها في العالم كله ... والمهم في الأمر أنها كلها تمَّت بأسلوبٍ واحدٍ وبطريقة مدهشة.

حبس المغامرون الخمسة أنفاسهم وهم يستمعون إلى السطور الأخيرة ... ومضى «تختخ» يقرأ: كانت السرقات تتم في غياب أصحابها عن منازلهم ... وأنتم تعرفون أن كثيرًا من العائلات تذهب إلى المصيف وتترك بيوتها دون أن تُخطر قسم الشرطة ... وبرغم أننا نبَّهنا كثيرًا إلى ضرورة إخطار أقسام الشرطة في حالة غياب أهل المنزل، فإن أكثر الناس لا يعملون بهذه النصيحة.

تحدَّثت «نوسة» لأول مرة فقالت: حتى الآن ليس هناك شيء مثير.

محب: معك حق ... ولكن نرى ماذا تحمل بقية السطور.

مضى «تختخ» يقرأ: حتى هذه السطور ليس هناك شيء مثير، أليس كذلك؟

قال «عاطف» معلِّقًا: إن المفتش «سامي» يقرأ أفكارنا!

عاد «تختخ» يقرأ: برغم أن سرقات المساكن الخالية ظاهرة عادية خاصةً في فصل الصيف ... فإن هذه السرقات لها طابع خاص ... فقد لاحظ عددٌ من بوَّابي العمارات التي وقعَت فيها السرقات ظهور رجل يبيع البالونات أمام كلِّ عمارةٍ من العمارات التي وقعَت فيها السرقة ...

كان البائع يظهر في الصباح يُنادي على البالونات عند إحدى العمارات، وفي الليل تتم سرقة أحد المساكن بها.

صاحت «لوزة»: مدهش! ... مثير!

وعاد «تختخ» يقرأ: وبالطبع عندما بدأنا التحقيق لفت أنظارنا هذه الظاهرة المدهشة ... ظاهرة وجود «بائع البالونات» صباح كل سرقة ... وبدأنا البحث عنه ... وكانت مفاجأة ... أن أحدًا لم يرَ وجه هذا البائع مطلقًا ...

عادت «لوزة» لإبداء دهشتها قائلة: يا له من لص ماكر!

ولم يتوقَّف «تختخ» ومضى يقرأ: لقد كان البائع الخبيث يحرص على أن يضع البالونات المنفوخة أمام وجهه ... بحيث لا يراه أحد ... ومن الواضح أن اللص كان يحضر في الصباح متظاهرًا ببيع البالونات لمعاينة المكان الذي سيسرقه، ثم يأتي في الليل للسرقة.

توقَّف «تختخ» ليستردَّ أنفاسه لحظات، ثم مضى يقرأ: وقد قُمنا بجهودٍ هائلةٍ للعثور على هذا اللص «بائع البالونات»، ولكن لم نجِد له أثرًا ... فلم يرَه أحد ... ولم نستطِع متابعته في أي مكان ...

أعزائي المغامرين ...

لقد وقعَت خمس سرقات حتى الآن ... ولا أدري هل ستزيد أو تتوقَّف عند هذا الحد؟ ... وأنا مُضطر للسفر ... ويمكنكم سؤال الشاويش «علي» عن التفاصيل ... فعنده عناوين جميع المساكن التي سُرقت ... وأسماء أصحابها ... وبيان بالأشياء المسروقة ... ولعل الشاويش «علي» بعد أن ساعدتم في عودته إلى عمله يتعاون معكم في كشف هذا اللغز ... وأرجو أن أعود فأجدكم قد وُفِّقتم في حلِّه.

مع تمنياتي لكم بالتوفيق

صديقكم

«سامي»

لم يكد «تختخ» ينتهي من قراءة الخطاب حتى ارتفعَت أصوات المغامرين بالحديث حول هذا اللغز المثير ... فقد كانت فكرة البحث عن هذا اللص الذكي الذي استطاع أن يُخفي وجهه عن الجميع فكرةً جديدةً لم يسبق لها مثيل ... وفكَّر «تختخ» أن هذه أول مرة على ما يذكر يترك لهم المفتش «سامي» رسالةً عن لغز ... وفكَّر في نفس الوقت أن المفتش «سامي» ... وجد أنهم أنسب من يحل هذا اللغز ... فَهُم أولاد وهناك بالونات ... وبائع بالونات ... وهل يعرف البالوناتِ وبائعَها أحدٌ أفضل من الأولاد؟!

وهدأَت الضجة بعد قليل ... واتجهَت أنظار المغامرين تلقائيًّا إلى «تختخ» الذي لم يشترك في الزيطة التي أحدثوها ... بل ظلَّ هادئ التفكير ... سكت الجميع وبدا واضحًا أنهم في انتظار كلمة من «تختخ» الذي قال على الفور: كما سمعتُم هناك خمس سرقات ... ونحن خمسة مغامرين ... ومعنى ذلك أن كلًّا منَّا سيكون من نصيبه سرقة للتحقيق فيها!

صاحت «لوزة»: هذا اقتراح هام ... وسنرى من الذي سيصل أولًا.

عاطف: يصل إلى ماذا يا «لوزة»؟ هل هو سباق في الجري؟!

لوزة: أقصد أن يصل إلى أدلة تقود إلى «بائع البالونات» اللص ...

نوسة: بالمناسبة خطر ببالي شيء ... إن اسم هذا اللص المجهول طويل نسبيًّا؛ فليس من المعقول أن نُناديه باسم «بائع البالونات» اللص، ما رأيكم في اختصار الكلمات الثلاث إلى رمز واحد؟ ... نُسمِّيه «ب. ب. ص».

قال «عاطف» معلِّقًا وهو يضحك: تُشبه هذه الحروف شخصًا يُريد أن يقول «بص» ... ولكنه يُتهته!

ضَحِك الجميع على هذا التعليق، فقالت «نوسة» ووجهها يحمرُّ خجلًا: إذن نختصر الاختصار ونُسمِّيه «ب. ص».

عاطف: وندمج الاختصار ونُسمِّيه «بص».

محب: إننا سنُحوِّل الاجتماع إلى درسٍ في اللغة العربية ... فليكن اسمه «بص» ودعونا ننتقل إلى الخطوة التالية!

تختخ: إن الخطوة التالية محدَّدة في خطاب المفتش «سامي» ... فعلينا أولًا الاتصال بالشاويش «علي» ... وسؤاله عن الأسماء والعناوين ... أسماء الضحايا ... وعناوين المساكن التي تمَّ السطو عليها ...

محب: وهل تتوقَّع أن يُساعدنا الشاويش «فرقع» في هذا؟

تختخ: المسألة بسيطة ... سوف أُعطيه خطاب المفتش «سامي» ليقرأه، ومن المستبعد أن يُفكِّر الشاويش «فرقع» في ...

ولم يُكمل «تختخ» جملته ... ففي هذه اللحظة ظهر آخر من كانوا يتوقَّعونه ... كان الشاويش «علي»، وكانت أول مرة يرونه فيها بعد أن قدَّموا المساعدة في إعادته إلى عمله كما جاء في لغز الشاويش «فرقع»، وبدا الشاويش مُتجهِّمًا كعادته ... ولكن المغامرين استقبلوه برغم هذا بالترحاب؛ فقد كانوا يُريدونه أكثر من أي شخص آخر في هذه اللحظة.

مشى الشاويش في كبرياء حتى وصل إلى حيث يجلسون، ووقفوا جميعًا يُسلِّمون عليه ... وقال «تختخ»: تفضَّل يا حضرة الشاويش ... لقد كنَّا نتحدَّث عنك الآن، وإنها لمفاجأة أن نراك!

جلس الشاويش، وعاد «تختخ» يقول: هل تشرب كوبًا من الليمون، أو تُفضِّل كوبًا من الشاي كعادتك؟

ردَّ «الشاويش» بكلمةٍ واحدة: شاي!

وأسرع «تختخ» إلى الفيلا ليُحضر له الشاي ... وظلَّ الشاويش صامتًا وهو يعبث بشاربه ... ولم يكَد «تختخ» يعود حتى فتح الشاويش محفظة أوراقه وأخذ يعبث بها كأنما يبحث عن ورقة ما ... ثم قال فجأة: هل شاهدتُم هذه الأيام «بائع بالونات» في هذه الأنحاء؟

ابتسم المغامرون، وانفجر «عاطف» ضاحكًا وهو يقول: لماذا يا شاويش؟ ... هل تُريد شراء بالونة؟

وتكهرب الجو ... فقد وقف الشاويش وقد احمرَّ وجهه غضبًا.

فستان الفرح يا حبايب

صاح الشاويش بغضب: أنا أشتري بالونة؟! هل تسخر مني أيها الولد؟!

أسرع «تختخ» إلى الشاويش وأخذ يربت ذراعه قائلًا: إن «عاطف» ... لا يقصد أن يُضايقك يا حضرة الشاويش ... إنك تعرفه ... إنه فقط يُريد أن يبدو خفيف الدم.

الشاويش: خفيف الدم أو ثقيل الدم مسألة لا تُهمُّني ... إنكم دائمًا تتحدَّثون عن أنفسكم كمغامرين ... وأن لا أحد في العالم يحل الألغاز مثلكم ... وقد جئتُ أتحدَّث إليكم عن لغزٍ غامض لا يعرفه أحد إلا أنا!

تختخ: شكرًا لهذه الثقة يا شاويش ... أرجوك اجلس واشرب الشاي ودعك من كلام «عاطف».

عاد الشاويش إلى مقعده وهو يرمق «عاطف» بنظراته النارية ... وسكت جميع المغامرين في انتظار ما سيقول ... ورشف الشاويش رشفةً كبيرةً من كوب الشاي وقال: إن المطلوب منكم أن تُجيبوا على هذا السؤال ... هل شاهدتم في الأيام الأخيرة «بائع بالونات» في هذه الأنحاء؟

ردَّ «محب»: لم يكن هذا ممكنًا؛ لأننا كنا في بورسعيد، وقد عُدنا هذا الصباح فقط.

لاذ الشاويش بالصمت لحظات طويلة، وأخذ يرشف الشاي بسرعة ... وفوجئ المغامرون أنه يقف مستعدًّا للانصراف وهو يقول: إذن عندما تُشاهدون «بائع البالونات» فأخطروني على الفور.

تدخَّل «تختخ» قائلًا: هل هذا كل دورنا في حلِّ اللغز الغامض الذي تحدَّثتَ عنه؟

الشاويش: نعم ... هذا فقط كل ما هو مطلوب منكم.

تختخ: ألَا تُخبرنا بشيء عن اللغز ... بعض التفاصيل؟

الشاويش: لا ... هذا يكفي بالنسبة لمجموعةٍ من الأولاد مثلكم!

اندفع «محب» قائلًا: هل تُحب إذن يا حضرة الشاويش أن تسمع بعض التفاصيل عن اللغز الذي تُحاول حلَّه؟!

وقف الشاويش مكانه وقد عاد الاحمرار إلى وجهه وقال: تفاصيل؟! … أنتم تعرفون تفاصيل عن هذا اللغز؟!

محب: نعم … هناك خمس سرقات وقعت في المعادي … وقُبيل كل سرقة كان يظهر «بائع بالونات» عند المكان الذي تتم فيه السرقة … ونحن …

ولكن الشاويش لم يحتمل أكثر من هذا وصاح: هذا غير معقول … غير ممكن … إنكم تتجسَّسون على أعمالي … إنني سوف …

قال «تختخ» مقاطعًا: صبرًا قليلًا يا شاويش «علي» … المسألة ليست هكذا مطلقًا … تفضَّل واقرأ هذا الخطاب.

ومدَّ «تختخ» يده بخطاب المفتش «سامي» إلى الشاويش الذي أمسكه مندهشًا، ثم أخذ يقرأ ما به … وكلما أمعن في القراءة زاد شحوبه، وانكمش غضبه، حتى إذا فرغ من قراءة الخطاب قال وهو يبلع ريقه: نعم … نعم … لقد كنتُ أنوي أن أقول لكم … طبعًا … طبعًا … ولماذا أخفي عنكم؟ إنني …

تختخ: دعنا لا نُضيع وقتًا أطول يا شاويش … إننا نُريد آخر المعلومات والبيانات عن هذا اللغز!

مدَّ الشاويش «علي» يده في حقيبته مرةً أخرى وأخرج ورقةً ناولها لـ «تختخ» … قائلًا: عناوين المساكن التي سُرقت وأسماء السكَّان … وقد قابلتُهم جميعًا، ولم أحصل منهم إلا على معلومات ضئيلة … فهم جميعًا لم يرَوا وجه «بائع البالونات»!

أخذ «تختخ» يقرأ بسرعة عناوين وأسماء ضحايا «بائع البالونات» الغامض … وتوقَّف عند أحد العناوين … إن له صديقًا سعوديًّا يسكن في هذه العمارة في شارع ١٩ ومن الممكن أن يُساعده … إنه ولد ذكي … من ذلك النوع الذي يهوى القراءة والاطلاع … وقد سافر كثيرًا إلى بلادٍ مختلفة … ويمكن الاعتماد عليه … دارت هذه الخواطر في ذهن «تختخ» بسرعة، ثم قال للشاويش: إننا نشكرك كثيرًا يا حضرة الشاويش … وسوف نتبادل المعلومات، إذا وصلتَ إلى شيء أبلغتَنا، وإذا وصلنا إلى شيء أبلغناك.

قام الشاويش واقفًا وقال كعادته: إنني لستُ في حاجةٍ إلى مساعدةٍ من أحد … سوف أصل إلى هذا اللص … وسوف أضعه في السجن.

تختخ: ندعو لكَ بالتوفيق يا شاويش!

وانصرف الشاويش ... وأخذ «تختخ» يقرأ أسماء وعناوين الضحايا ... ليأخذ كل واحدٍ من المغامرين اسمًا ويجمع المعلومات عن ظروف السرقة ... وقد تمَّ تقييم الأسماء حسب قربها من مساكن المغامرين الخمسة ... وكان من نصيب «لوزة» ... سيدة مُسنة سُرِق منها شيء غريب ... لقد سُرِق منها فستان الفرح الذي تزوَّجت به منذ خمسين عامًا ... ولَمَّا كانت السيدة العجوز واسمها «نعمات» قد فقدت زوجها بعد الزواج بأقلَّ من سنة ... ولم تُنجب ... ولم تتزوَّج مرةً أخرى ... فإن فستان الفرح الأبيض كان يُمثِّل بالنسبة لها شيئًا عزيزًا جدًّا ... وله أهمية خاصة.

انطلقت «لوزة» على درَّاجتها كالصاعقة ... لقد حفظت العنوان، واسم السيدة ... وبقي عليها أن تُفكِّر في كيفية الحديث إليها ... وظلَّ ذهنها مشغولًا حتى وصلت إلى العنوان.

كان منزلًا قديمًا مقسَّمًا إلى طابقَين ... كان أصل لونه رماديًّا، ولكن الزمن أحاله إلى اللون الأسود، وقد غطَّت جدرانه من الخارج الأعشاب والنباتات المتسلِّقة ... وكانت السيدة تسكن في الطابق الثاني ... وأدخلت «لوزة» درَّاجتها في الحديقة المهملة ... ووقفت قليلًا تُفكِّر كيف تبدأ الحديث مع السيدة ... ولكن شيئًا حدث وفَّر عليها التفكير ... كانت السيدة تنظر من النافذة عليها ... وقد شاهدَتها وهي تركن درَّاجتها وتقف، فصاحت بصوتٍ رفيع أشبه بصوت الجرس: ماذا تُريدين أيتها الصغيرة؟

ورفعَت «لوزة» رأسها وقالت: لقد جئتُ لأُقابلك.

السيدة: أهلًا بك ... تعالَي فورًا.

دُهشت «لوزة» لهذا الترحيب المفاجئ، وأخذت تقفز السلالم الخشبية القديمة حتى وصلت إلى شقة السيدة، ووجدَتها تقف في انتظارها.

قالت السيدة على الفور: ادخلي ... إنكِ قادمة من عند السيدة «حكمت»؟

دُهشت «لوزة» ... فهي لا تعرف سيدةً بهذا الاسم ... وقبل أن تُجيب انطلقت السيدة العجوز تصيح: لا يمكن أن أخرج من هذا البيت! ... إلى أين أذهب؟

لقد قضيتُ فيه خمسين عامًا، ولا أعرف مكانًا آخر أذهب إليه.

ولدهشة «لوزة» ... انخرطت السيدة العجوز في البكاء وهي تقول: حرام عليكم ما تفعلون ... تطردون سيدةً عجوزًا مثلي من مسكنها ... صحيح أني لم أدفع الإيجار ... ولكني سأدفعه ... سأجد طريقةً لدفعه ... إن عندي أشياء تصلح للبيع ... سوف أبيعها وأدفع لكم الإيجار ... قولي هذا للسيدة «حكمت».

تحدَّثت «لوزة» لأول مرة فقالت: ولكني لم آتِ من طرف السيدة «حكمت»!

مسحت السيدة العجوز عينَيها وقالت: أصحيح؟!

لوزة: طبعًا … إنني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم!

السيدة: إذن لماذا جئت؟

تردَّدت «لوزة» قليلًا، ثم قالت: لقد سمعتُ أنكِ سُرقت!

العجوز: نعم … نعم … سرقوا فستان الفرح … وكان في جيبه خاتم ثمين هو كل ما بقي لي من أشياء … كنتُ سأبيعه وأدفع منه الإيجار، ولكن اللص الحقير سرق الفستان … إنه جزء عزيز من ذكرياتي … وكنتُ أضع فيه الخاتم الثمين … ولكن اللص أخذ كل شيء.

لوزة: جئتُ لآخذ منكِ بعض المعلومات.

العجوز: ولكن ماذا ستفعلين بهذه المعلومات؟! … إن الشرطة لم تستطِع حتى الآن عمل أي شيء، وأنت فتاة صغيرة!

لوزة: إننا مجموعةٌ من المغامرين من أصدقاء الشرطة، نُقدِّم لهم بعض الخدمات … وقد حَزِنَّا كثيرًا لأنهم سرقوا فستانك … ونحن نُريد إعادة الفستان إليك.

السيدة: لقد قلتُ كلَّ معلوماتي للشرطة!

لوزة: لا بأس … أُريد بعض المعلومات الإضافية … ما هو لون الفستان؟

السيدة: أبيض طبعًا، ومُحلًّى بالترتر الملوَّن … وبعض الخيوط الفضية.

لوزة: وكيف سُرِق؟

السيدة: كنتُ قد سافرتُ لزيارة أختي المريضة في الإسكندرية … وأغلقتُ الشقة، وطلبتُ من بوَّاب الجيران أن يحرسها لحين عودتي.

لوزة: أليس لكم بوَّاب؟

السيدة: لا … إن السيدة «حكمت» حرمتنا كلَّ شيء … إنها تُريد أن تطردنا جميعًا من المنزل لتُؤجِّره مفروشًا.

لوزة: أشكركِ كثيرًا … سوف أذهب لرؤية البوَّاب.

السيدة: المهم أن تُعيدوا لي الخاتم والفستان … إنهما الأمل الوحيد لدفع الإيجار وإلا طردتني السيدة «حكمت» من الشقة!

لوزة: ما قيمة الإيجار المتأخِّر عليك؟

السيدة: ستة عشر جنيهًا.

لوزة: لا تحملي همًّا ... سوف نُدبِّر الأمر.

وأسرعَت «لوزة» تنزل السلالم القديمة إلى الشارع ... واتجهت فورًا إلى بوَّاب العمارة المجاورة. كان رجلًا ضخمًا يجلس على مقعد خشبي عالٍ وهو يُدخِّن «الشيشة» ... واندفعَت «لوزة» إليه وقالت: لقد جئتُ إليكَ من طرف السيدة «نعمات».

ردَّ عليها الرجل بصوتٍ غليظ: وماذا تُريد مني السيدة «نعمات»؟!

لوزة: بخصوص الفستان الذي سُرِق منها.

بدا على الرجل نوعٌ من الخوف المفاجئ ... ولكنه أخفاه بسرعة، وأخذ ينظر إلى «لوزة» في ضيق ...

الفأر ذو الباروكة

أحسَّت «لوزة» أن الرجل لا يُريد أن يتحدَّث، فقالت له: إن شقة السيدة «نعمات» كانت في حراستك ليلة أن سُرِقت …

صاح الرجل بخشونة: وما لكِ أنتِ وسرقة الشقة؟! … لقد سألني الشاويش وانتهى الأمر!

لوزة: إنه لم ينتهِ بعد … ولن ينتهي حتى نصل إلى اللص!

صاح الرجل بغضب: لن أقول لكِ شيئًا! … إنكِ طفلة صغيرة … وليس لكِ أن تتدخَّلي فيما لا يُهمُّك!

أحسَّت «لوزة» بغصَّة في حلقها لهذه المعاملة الخشنة … وحاولَت أن تتكلَّم فلم تستطع، فقفزَت إلى درَّاجتها وقد طفرَت الدموع من عينَيها، ثم أسرعَت عائدةً إلى منزلها وقد أصابها الأسى والحزن.

في نفس هذا الوقت كان «تختخ» قد وصل إلى صديقه السعودي «حسين»، الذي كان يقضي الصيف في فيلا بالمعادي مع أخوَيه «حسن» و«حسام» … ورحَّب «حسين» كثيرًا بصديقه «تختخ» وقال له: لعلَّكَ جئتَ من أجل السرقة التي وقعَت بجوارنا؟

تختخ: طبعًا … وقد كنتُ متأكِّدًا أنني سأجد عندكَ بعض المعلومات.

حسين: لقد سمعتُ أن حوادث السرقة تكرَّرت أخيرًا في نفس المنطقة.

تختخ: صحيح … تكرَّرت في خمس حالات … كلها تحمل طابعًا مميَّزًا!

حسين: إذا لم أضايقك … هل يمكن أن تُعطيني معلومات أكثر؟

روى «تختخ» لـ «حسين» كلَّ ما مرَّ بالمغامرين من أحداث خاصة بهذه السرقات الخمس …

خطاب المفتش «سامي» … مقابلة الشاويش «علي»، والاستنتاجات القليلة التي توصَّلوا إليها …

قال «حسين»: شيء مدهش! … هل تعرف أن «حسام» اشترى بالونةً من «بائع البالونات» هذا في نفس اليوم الذي وقعَت فيه السرقة؟!

تختخ: إنها مصادفة رائعة … وسيكون أول شاهدٍ في هذا اللغز! أين هو؟

حسين: إنه يلعب في الحديقة؛ فهو لا يكفُّ عن الجري!

وقام «حسين» فنادى «حسام» الذي دخل كالقنبلة وأخذ يدور في القاعة كالنحلة حتى صاح به «حسين»: «حسام» … لحظة واحدة من فضلك.

حسام: نعم … نعم … ماذا تُريد؟

حسين: هل تذكر «بائع البالونات» الذي اشتريتَ منه بالونةً منذ أيام؟

حسام: ماذا حدث له؟

حسين: من فضلكَ يا «حسام» … المسألة مهمَّة ونحن نُريدكَ أن تتذكَّر جيدًا.

حسام: ماذا تُريدون منه؟ عندي بالونات!

وقف «حسين» … وأمسك بذراع «حسام» وصاح به: قلتُ لكَ إن المسألة مهمَّة جدًّا فأنت الشاهد الوحيد على عملية سطو تكرَّرت خمس مرات!

بدا على «حسام» ذي العينَين الواسعتَين دهشة ممزوجة بالاستنكار وقال: أنا … شاهد!

حسين: من فضلك يا «حسام» هل تذكر «بائع البالونات» الذي اشتريتَ منه بالونةً منذ أيام؟

حسام: نعم … أذكره.

حسين: عظيم … لو استطعتَ الوصول إلى هذا البائع سنحل لغزًا من أعقد الألغاز!

حسام: لغز بوليسي؟

حسين: نعم … وهذا هو صديقي «توفيق» زعيم المغامرين الخمسة الذين قرأتَ عنهم كثيرًا … لقد جاء يطلب مساعدتك!

مدَّ «حسام» يده بالسلام على «تختخ»، ثم قال: سأُحاول أن أتذكَّر … ولكن من الأفضل أن أعرف ما هي الحكاية بالضبط؟

تختخ: باختصار … إن خمس حوادث سرقة قد وقعت في هذه المنطقة … وقد كان «بائع البالونات» هذا يظهر عند كلِّ منزل تقع به السرقة في نفس الليلة!

حسام: مدهش! ... لقد اشتريتُ منه أكثر من مرة ... وقد لاحظتُ أنه دائمًا يبيع بالوناتٍ مرسوم عليها وجوه ... حتى إن وجهه يختلط مع هذه الوجوه فلا تكاد تتبيَّنه!

تختخ: تمامًا ... إنه يُخفي وجهه مع هذه الوجوه حتى لا يتذكَّره أحد!

حسام: ولكني أتذكَّر وجهه ... لأن آخر مرة اشتريتُ منه البالونة كان مصابًا بالبرد، وأخذ يعطس ويعطس حتى احمرَّت عيناه وسقطَت النقود من يده، فانحنى ليأخذها فتحرَّك شعره ...

تختخ: ماذا تقصد بهذا؟

حسام: إنه يلبس باروكة!

تختخ: عظيم ... هذا جزء من التنكُّر!

حسام: وعندما كادت الباروكة أن تسقط، مدَّ يده ليُثبتها على رأسه ... ولاحظتُ أنه أصلع تمامًا، ومصاب بجرح قديم في رأسه يمتد من منتصف رأسه حتى قفاه!

تختخ: إنكَ شديد الملاحظة! ... وماذا كان شكله؟

حسام: إنه يُشبه الفأر ... نحيل وضئيل وأسمر ... وفي كل مرة قابلتُه كان يلبس قميصًا أخضر به خطوط سوداء ...

ولم ينتظر «حسام» أسئلةً أخرى ... فقد اندفع مرةً أخرى خارجًا ... وابتسم «حسين» و«تختخ»، وقال «حسين»: ما رأيك؟ ... هل تكفي هذه المعلومات لمتابعة «بائع البالونات»؟

تختخ: لا بأس بها ... وشكرًا لك.

حسين: هل تعقدون اجتماعًا للمغامرين الخمسة اليوم؟

تختخ: لا ... غدًا صباحًا ... لماذا لا تحضر معنا؟

حسين: كان هذا يُسعدني كثيرًا ... ولكني مشغول غدًا.

وانصرف «تختخ» وأخذ يقطع شوارع المعادي على درَّاجته، وقد استغرق في التفكير ... وفجأةً وجد الشاويش «فرقع» على درَّاجته ... وتقابلا ... وقرَّر «تختخ» أن يستعين بالشاويش، فقال له على الفور: اسمع يا شاويش «علي»، هل في إمكانك أن تُجيب على سؤالٍ واحدٍ من أجل خاطري؟

قال الشاويش وقد لعب بشاربه: اسأل أولًا وسأرى.

تختخ: هل قبضتَ في أي يوم من الأيام على لصٍّ يلبس باروكة؟

الشاويش: ماذا؟!

تختخ: باروكة ... شعر مستعار على الرأس.

أخذ الشاويش يعبث بشاربه وقد بدت عليه علامات التفكير، ثم قال: نعم ... منذ عامَين قبضتُ على لص من لصوص المساكن، وأثناء مطاردته سقط شعره المستعار.

بدا الاهتمام على وجه «تختخ» وقال: هل تذكر شكله؟

الشاويش: أنا لا أنسى شيئًا أبدًا ... كان ... كان اسمه «الفأر»، وهو يُشبه الفأر فعلًا!

دقَّ قلب «تختخ» سريعًا ... وفكَّر كالبرق ... هل يمكن أن يحل اللغز بهذه السرعة؟! إن الأوصاف التي قالها «حسام» ... قد أنتجَت بسرعة ... في دقائق ... فيا له من حظٍّ حسن!

عاد «تختخ» يقول: هل عندكم في القسم بصمات هذا اللص؟ ... وهل تعرف إذا كان في السجن أو خرج؟ وهل يمكن أن أعرف عنوانه؟ وهل ...

صاح الشاويش: مهلًا! إنني سأبحث كلَّ هذا ... بالطبع لا بد أن تكون له بصمات ... ولكن لا أعرف الآن إذا كان في السجن أو خارجه ... ولا أظن أنه ما زال يسكن في عنوانه القديم ...

تختخ: متى يمكن أن أحصل على معلومات عنه؟

الشاويش: سأعود الآن إلى القسم ... وسأمر عليكَ في المساء.

شكَر «تختخ» الشاويش بحرارة ... فعلى أساس المعلومات التي سيحصل عليها، قد يُصبحون في أعقاب «بائع البالونات» ... اللص ...

أسرع «تختخ» إلى الفيلا ... ولم يكد يصل حتى اتصل به «محب» ... قائلًا: لقد ذهبتُ إلى العنوان ... لم أحصل على معلومات ذات قيمة ... إن «بائع البالونات» رجل شديد الذكاء ... إنه لم يترك وراءه أثرًا.

تختخ: لقد حصلتُ على معلومات لا بأس بها ... وقد نستطيع في القريب أن نكون في أعقاب «بائع البالونات».

محب: هل اتصل بكَ أحدٌ من المغامرين؟

تختخ: لا.

محب: من أين حصلتَ على المعلومات إذن؟

تختخ: من صديق سعودي.

محب: أظنه صديقكَ «حسين».

تختخ: نعم ... ومن شقيقه الصغير «حسام» الذي أعطاني وصفًا شبه كاملٍ لبائع البالونات ... وقد استطعتُ أن أُقنع الشاويش «فرقع» أن يبحث عن هذا الرجل الذي ظننتُ

أنه لا بد أن يكون من ذوي السوابق ... وقد اتضح هذا ... وسوف نحصل على معلوماتٍ مؤكَّدة من الشاويش قريبًا.

محب: إنكَ مدهش! ... من أين تتحدَّث؟

تختخ: من حديقة الفيلا ... فالجو حار في الداخل.

ولم يكَد «تختخ» ينتهي من جملته حتى فوجئ بـ «لوزة» ... تندفع بشدة داخل الحديقة، فقال لـ «محب»: «لوزة» حضرَت ... سأرى ماذا حصلَت عليه ... هل أراك غدًا؟

محب: بالطبع في موعدنا المعتاد.

قالت «لوزة»: لقد وجدتُ اللص ... وجدتُ اللص!

ذُهل «تختخ» ووضع السمَّاعة مكانها والتفتَ إلى «لوزة» التي مضَت تقول: إذا لم يكن اللص فهو شريك له!

تختخ: من هو هذا اللص أو الشريك؟

لوزة: إنه بوَّاب العمارة التي بجوار منزل السيدة «نعمات» ... وفي نفس الوقت أُريد أن أجمع من المغامرين مبلغ ستة عشر جنيهًا فورًا.

البائع المزيف

قال «تختخ»: على مهلكِ يا «لوزة» ... ما هي حكاية بوَّاب العمارة ... وحكاية الجنيهات الستة عشر؟!

لوزة: هذا البوَّاب ... رجل شرس ... فظيع ...

تختخ: اهدئي قليلًا ... ماذا حدث؟

لوزة: ذهبت إلى بوَّاب المنزل المجاور لمنزل السيدة «نعمات» ... وحاولتُ أن أحصل منه على معلوماتٍ عن «بائع البالونات» ... فعامَلني بخشونة، وكاد يضربني!

تختخ: ولكن هذا لا يضعه في موضع الاتهام!

لوزة: ولماذا إذن يُعاملني بهذه الطريقة؟!

تختخ: لا أدري ... على كل حال سوف نبحث هذا الأمر ... وما هي حكاية الجنيهات الستة عشر؟

لوزة: إن السيدة «نعمات» التي كانت ضمن ضحايا اللص، سوف تُطرد من مسكنها إذا لم تدفع الإيجار المتأخِّر، وهو نحو ستة عشر جنيهًا يجب أن نجمعها فورًا ... إنها سيدة مسكينة بلا زوج أو ولد.

تختخ: سنفعل ذلك ... هل هناك شيء آخر؟

لوزة: لا شيء ... ولكن ماذا ستفعل مع البوَّاب؟

تختخ: سأُفكِّر في الأمر ... وعندنا اجتماع غدًا في الصباح، وسوف يأتي الشاويش «علي»، وقد يحصل لنا على معلومات مفيدة بخصوص «بائع البالونات».

غادرَت «لوزة» حديقة الفيلا بعد أن ودَّعت «تختخ» الذي جلس وحيدًا يُحدِّق في الأشجار وفي العصافير الصغيرة التي كانت تختبئ في الظل تحت الأغصان المورقة ...

وكانت حاسة المغامِر قد استيقظَت، وفكَّر في خطة جديدة يعرضها على المغامرين غدًا … خطة من خطط «تختخ» القديمة التي طالما حلَّت الألغاز، وأوقعَت بالمتهمين.

وقد عرض «تختخ» خطته في الصباح على المغامرين قبل أن يصل الشاويش …

قال «تختخ» بمجرَّد أن وصل المغامرون إلى الحديقة: إن عندنا معلومات لا بأس بها عن «بائع البالونات» … فأحد أصدقائي له شقيق يُدعى «حسام» قد شاهد البائع ووصفه لي وصفًا دقيقًا … وعندي خطة …

بدا الانتباه على وجوه المغامرين الأربعة، ومضى «تختخ» يقول: لقد حاولَت «لوزة» أن تتحدَّث مع بوَّاب العمارة المجاورة لعمارة السيدة «نعمات»، وهي كما تعلمون إحدى ضحايا «بائع البالونات» … ولكنه عاملها بخشونة … ولستُ أستبعد أن يكون خائفًا من شيء ما …

أسرعَت «لوزة» تقول: نعم … إنه خائف فعلًا!

محب: وما هي خطتك؟

تختخ: حسب المعلومات التي قالها «حسام» … كان «بائع البالونات» رجلًا نحيفًا يُشبه الفأر … ويلبس باروكة … ويرتدي قميصًا أخضر به خطوط سوداء … ومن الممكن أن يقوم أحدنا بالتنكُّر ليُصبح مثله.

لوزة: الوحيد الذي يصلح هو «عاطف».

عاطف: هل أُشبه الفأر يا «لوزة»؟!

لوزة: لم أقصد السخرية منك … ولكن أنتَ أقرب المغامرين إلى شكل «بائع البالونات».

تختخ: «لوزة» معها حق … وسنستدعي «حسام» بعد ساعة … وفي خلال هذه الساعة سوف يأتي معي «عاطف» … لأضعه في ثياب التنكُّر … ثم نرى رأي «حسام» … فيه … ثم نشتري بعض البالونات ونرسم عليها بعض الوجوه، ونُرسله في الشوارع التي كان يمر بها «بائع البالونات» الأصلي … وسننتظر لعلَّ أحدًا يتصل به … ربما البوَّاب أو غيره … ومن هنا يمكن أن نبدأ …

وافق المغامرون على الخطة بحماسة … وقالت «نوسة»: سأذهب أنا و«لوزة» لشراء البالونات ورسمها.

تختخ: وسأقوم أنا بعمل التنكُّر.

محب: وسأنتظر أنا الشاويش.

تختخ: عظيم … موعدنا بعد ساعة.

ذهب «تختخ» و«عاطف» إلى غرفة التنكُّر في منزل «تختخ»، وبسرعة قام «تختخ» بعملية التنكُّر لـ «عاطف» ... وأحضر أحد قمصانه الخضراء اللون، ثم وضع عليه خطوطًا سوداء ... وبعد ساعة كان منظر «عاطف» ... قد تغيَّر من ولدٍ وسيم رقيق الشكل، إلى «بائع بالونات» غريب الهيئة ... وبعد ساعة كان المغامرون يجتمعون مرةً أخرى ... كانت «لوزة» و«نوسة» قد أحضرتا البالونات واشترك معهما «محب» في رسم بعض الوجوه عليها ... وعندما شاهدوا شكل «عاطف» انفجروا في الضحك ... ولكن «عاطف» لم يشترك في حملة الضحك هذه، بل قام بتمثيل دوره خير قيام، وأخذ يصيح: بالونة بقرش ... بالونة كبيرة بخمسة صاغ.

وقام «تختخ» بالاتصال بصديقه «حسين» الذي حضر مسرعًا ومعه شقيقه «حسام»، وعندما ظهرا على باب الحديقة كانت في انتظارهما مفاجأة ... «بائع البالونات» الذي كان «عاطف» طبعًا.

ولم يكَد «حسام» يراه حتى صاح في دهشة: هذا هو «بائع البالونات»!

أمَّا «حسين» ... فقد ابتسم؛ فهو يعرف أن «بائع البالونات» الذي يقف في الحديقة ليس إلا أحد المغامرين الخمسة.

قال «تختخ» لـ «حسام»: إنه ليس «بائع البالونات» الذي تعرفه ... إنه أحد زملائنا المغامرين ...

حسام: ولكنه يُشبه «بائع البالونات» بالضبط ... خاصةً هذا القميص ... وهذا الشعر ... ولكن هناك شيء.

تختخ: ما هو؟

حسام: إن «بائع البالونات» أكثر سُمرةً من «عاطف».

تختخ: هذا ما أُريد أن أسمعه منك ... ما هي ملاحظاتك الأخرى؟

حسام: إنه لم يكن يلبس مثل هذا الحذاء الأنيق ... إنه يلبس «شبشب بلاستيك».

تختخ: عظيم ... هل ثمَّة شيء آخر؟

حسام: هذا كل ما أذكره.

تختخ: شكرًا ... لقد أدَّيت خدمةً لا تُنسى.

ثم التفتَ «تختخ» إلى «محب» وسأله: ألم يحضر الشاويش؟

محب: لا ... لم يحضر.

تختخ: مدهش!

وغاب «تختخ» و«عاطف»، في حين جلس «حسين» و«حسام» مع بقية المغامرين يتحدَّثون ... وحكَت «لوزة» للجميع حكاية السيدة «نعمات» التي لا تجد ما تدفعه أجرًا لشقتها ... تحمَّس «حسين» ... للمساهمة في هذا التبرُّع بأكبر نصيب.

بعد فترة عاد «تختخ» وحده، وقال: لقد طلبتُ من «عاطف» أن يطوف بنفس الشوارع التي طاف بها «بائع البالونات» من قبل ... وسوف نعرف إذا كان هذا البائع اللص له صِلات ببعض الناس أو الشركاء الذين ساعدوه على السرقة أو لا.

في هذا الوقت كان «عاطف» يسير في الشوارع مناديًا على البالونات بصوتٍ حاول أن يجعله خشنًا بقدر ما يستطيع ... ولدهشته الشديدة أقبل عليه عدد من الأطفال والصبية يشترون البالونات حتى خشي أن تنفد ... فأسرع إلى الشوارع التي حدثَت فيها السرقات حتى يُؤدِّي مهمَّته الأصلية.

ذهب إلى الشارع الأول وتسكَّع به طويلًا ... ولكن أحدًا لم يُكلِّمه سوى الذين حضروا لشراء البالونات ... ثم ذهب إلى الشارع الثاني ... ولم يحدث شيء، وأحسَّ باليأس يتسرَّب إلى نفسه ... ولكن في الشارع الثالث حدث شيء مثير ... لقد أخذ يُنادي على البالونات ... وحضر بعض الصِّبية للشراء، وفجأةً تقدَّم منه ولد صغير متشرِّد ووضع في يده خمسة قروش وطلب بالونة ... وعندما سلَّمه البالونة وضع الولد في يده قطعةً صغيرةً من الورق وقال: من صديقك!

ثم اختفى الولد سريعًا، ولكن ملامحه رُسمت في ذهن المغامر الصغير ... وكاد «عاطف» يعود، ولكنه قرَّر الاستمرار في مهمَّته ... فذهب إلى الشارع الرابع ... ولم يحدث شيء ...

ثم ذهب إلى الشارع الخامس حيث تقع العمارة التي تمَّت فيها سرقة السيدة «نعمات» ... والتفَّ حوله عددٌ من الأولاد ... وأخذ يبيع البالونات وهو ينظر هنا وهناك ... وفجأةً أحسَّ بمن يقبض على ذراعه من الخلف بشدة ... وسمع صوتًا خشنًا يقول: ما الذي أتى بكَ إلى هذا المكان؟ ... اهرب فورًا فالشرطة تبحث عنك!

التفت «عاطف» ... فشاهد شخصًا ضخمًا يلبس الملابس البلدية ... له شارب ضخم ووجه غليظ ... وعرف على الفور أنه لا بد أن يكون بوَّاب العمارة الذي وصفته «لوزة».

أخذ الرجل ينظر إليه لحظات ... وأحسَّ «عاطف» أن في عينَيه نظرة شك قوية ... إنه يشك في هذا البائع ... إنه ليس البائع الذي يعرفه برغم التنكُّر المتقن ... وأسرع «عاطف» يُدير وجهه حتى يترك الرجل بين الشك واليقين ... وأسرع يبيع للأولاد البالونات، ثم تركهم وأخذ يسير بسرعةٍ مبتعدًا عن المكان ... ولم يكَد يدخل الشارع التالي حتى حدث شيء!

أحداث كثيرة

لقد حدث آخر شيء كان يتوقَّعه «عاطف» ... ظهر الشاويش «علي» على درَّاجته في أول الشارع القصير ... ووقعَت عيناه على «بائع البالونات»، وتوقَّف لحظاتٍ وقد فتح عينَيه على آخرها ... ثم انطلق بسرعة وهو يُطلق صفارته ...

أسرع «عاطف» يجري ... ستكون كارثةً لو قبض عليه الشاويش ... بالطبع من الممكن الكشف عن شخصيته ... ولكن الشاويش قد يتضايق ويقبض عليه ويضعه في الحبس ...

كانت المطاردة غير متكافئة ... فقد كان الشاويش على درَّاجته أسرع من «عاطف» على قدمَيه ... ولكن «عاطف» لجأ إلى أسلوب المراوغة ... فأخذ يصعد فوق الرصيف، ثم ينزل ويدخل أحد المحلَّات ويخرج من الباب الآخر، والشاويش يلهث خلفه ... مرةً على دراجته ... ومرةً على قدمَيه ... وأخيرًا وجد «عاطف» فيلا حولها حديقة كثيفة الأشجار ... ولم يتردَّد ... قفز السور، ثم أسرع يجري بين الأشجار الكثيفة ... وكان قد تعب من الجري ومن حرارة الشمس، فاختار جذعًا قديمًا ضخمًا، ثم ألقى نفسه عليه وجلس يلهث.

كان الشاويش يدور حول الحديقة ... وكان «عاطف» يسمع وقع خطواته ... وتذكَّر في هذه اللحظة الورقة التي سلَّمها له الولد الصغير ... وأسرع يفتح كفَّه ... كانت ورقةً رفيعةً جدًّا قد بلَّلها العرق ... وعليها سطر بالقلم الرصاص لم يستطِع أن يقرأه ... فقد أثَّر عليه العرق ... وفي نفس الوقت لم يكن الضوء كافيًا.

ظلَّ الشاويش يدور حول الفيلا لحظات ... ثم سمع «عاطف» صوت وقع أقدامه وهو يقترب من باب الفيلا، وسمع جرس الباب يضرب ... وعرف أن الشاويش سوف يستعين بأصحاب المنزل في مطارته ... وفي هذه اللحظة خطر له الخاطر الوحيد الذي كان يجب أن

يُفكِّر فيه منذ ساعة ... وكانت رؤية المياه المتدفِّقة في الحديقة هي التي أوحَت له بالخاطر الذي نفَّذه فورًا.

قام بترك البالونات من يده فصعدَت واشتبكَت بالأغصان ... ثم خلع باروكة الشعر وأخفاها بين أوراق الأشجار المتساقطة ... ثم خلع القميص وغسله سريعًا فزال اللون الأسود وأصبح القميص أخضر ... ثم غسل وجهه فأزال الأصباغ التي عليه ... وهكذا في دقائق قليلةٍ عاد «عاطف» إلى شخصيته الحقيقية، وسار في طرقات الحديقة مبتعدًا عن مبنى الفيلا ... وتوقَّف لحظات، وأرهف السمع، ثم قفز السور وأصبح في الشارع ... توقَّف قليلًا يتلفَّت حوله، لم يكن هناك إلا بضع صبية يلعبون الكرة ... فتسلَّل في هدوء مبتعدًا عن الفيلا ...

بعد ربع ساعة كان «عاطف» ... قد وصل إلى الحديقة ... وكان المغامرون هناك، ولكن «حسين» وشقيقه «حسام» كانا قد غادرا الحديقة ... صاح المغامرون: ماذا خلفك؟!

عاطف: خلفي الشاويش «علي» ... لقد حاول أن يقبض على «بائع البالونات»!

لوزة: «بائع البالونات»!

عاطف: نعم ... «بائع البالونات» المزيَّف ... لقد شاهدني الشاويش وأنا في آخر جولتي وطاردني في الشوارع، وهو الآن يبحث عني في حديقة إحدى الفيلات ... وأظنه سيقلب الدنيا عندما لا يجد مني سوى البالونات المعلَّقة في الشجر.

والتفَّ المغامرون حول «عاطف» يستمعون ... فشرح لهم كل شيء ... ثم أخرج الورقة من جيبه ... الورقة الصغيرة المبلَّلة بالعرق وناولها لـ «تختخ».

أمسك «تختخ» بالورقة، وأخذ يفردها بأصابع مرتعدة ... إن فيها بالتأكيد معلومات ... واستطاع بمشقَّةٍ أن يقرأ السطر الوحيد الذي فيها ... كان مكتوبًا بالقلم الرصاص هذه الكلمات: ماذا جعلكَ تأتي إلى هنا؟ اختفِ فورًا وإلا سننكشف كلنا!

قرأ «تختخ» الكلمات بصوت هادئ ... واستمع الأصدقاء إليه ... وصاحت «لوزة»: إنها نفس الكلمات التي ردَّدها «عاطف» على لسان البوَّاب ... إنهم جميعًا شركاء ... البوَّاب وبائع البالونات ... وهذا الذي كتب الرسالةَ إلى «بائع البالونات».

نوسة: لقد كانت خطةً محكمة؛ فقد استطاعوا أن يقوموا بخمس سرقات دون أن يصل رجال الشرطة إلى أية معلومات عنهم ... ولكن فكرة «بائع البالونات» كشفَت هذه الخطة!

محب: يجب أن نستفيد من هذه المعلومات فورًا ... وإلا فإنهم سوف يكتشفون أن «بائع البالونات» ما هو إلا فخ وقعوا فيه.

تختخ: دعونا ننظر بهدوءٍ أكثر ... إن ما يجب أن نبحث عنه أولًا هو الولد الصغير الذي سلَّم «عاطف» الرسالة ... فهذا الولد سوف يدلنا على الشخص الذي سلَّمه الخطاب.

عاطف: وهناك البوَّاب أيضًا ... من الواضح أنه شريك.

تختخ: نعم ... ولكن ...

وقبل أن يُتم جملته شاهدوا الشاويش «علي» يظهر في طرف الحديقة ... كان منظره غريبًا ومثيرًا للضحك ... فقد كان العرق يتصبَّب من وجهه ... وشاربه المرتفع دائمًا قد تدلَّى على فمه ... وفي يده كان يُمسك مجموعةً من البالونات ... أدرك المغامرون على الفور أنها نفس البالونات التي تركها «عاطف» في حديقة الفيلا في أثناء مطاردة الشاويش له.

صاح الشاويش: أين أنتم؟ لقد كِدتُ أقبض على اللص ... على «بائع البالونات»!

تختخ: ولماذا لم تقبِض عليه؟

الشاويش: لقد طاردتُه مطاردةً عنيفة ... وكاد يسقط في يدي، ولكنه لجأ إلى حديقةٍ كثيفة الأشجار ... واستطاع أن يُفلت مني ... هذا الوغد شديد الخبث والدهاء!

كاد «عاطف» يضحك، ولكن نظرةً من «تختخ» أوقفَت الابتسامة على شفتَيه ... فقد كان «تختخ» يُريد ألَّا يغضب الشاويش ... إنهم في حاجة إليه لحل اللغز والوصول إلى «بائع البالونات» الحقيقي.

قالت «نوسة»: وماذا ستفعل بهذه البالونات يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: سوف أضعها في القسم ... إنها دليل يجب تَحْرِيزه!

لوزة: ما معنى تحريزه يا شاويش؟

قال الشاويش وقد انتفخت ملامحه: ألَا تعلمين أن كلَّ دليل يقع في قبضة رجل الشرطة لا بد من وضعه في حِرزٍ حتى يُقدَّم للقاضي في أثناء نظر القضية!

لوزة: وما هو الحِرْز؟

صاح الشاويش بغضب: كيف تدَّعون أنكم مغامرون ولا تعرفون معنى الحِرْز؟! ... إن معناه هو وضع الدليل في مظروف أو لفَّة حسب حجمه ... وهذا المظروف أو اللفَّة اسمه الحِرْز!

لوزة: فهمت الآن.

قال «تختخ»: اسمع يا حضرة الشاويش ... سنضع يدك على شخصٍ يعرف «بائع البالونات».

الشاويش: من هو؟

تختخ: إنه بوَّاب العمارة المجاورة لمنزل السيدة «نعمات» التي سُرق منها فستان الفرح.

الشاويش: لقد استجوبتُه من قبل، ولكنه أكَّد لي أن لا علاقة له ببائع البالونات أو السرقات!

تختخ: إننا متأكِّدون.

الشاويش: كيف؟!

تختخ: لن نقول لكَ الآن ... ولكن خذها نصيحةً منَّا وحاول أن تحصل منه على معلوماتٍ عن «بائع البالونات».

كان الشاويش ما زال واقفًا عند طرف الحديقة والبالونات في يده تطير في الهواء ... الخفيف ... وأخذ يُتمتم من بين أسنانه ... لا أدري كيف هرب هذا المجرم؟! ... لقد وضعتُه في المصيدة، ولكنه استطاع الفرار!

تختخ: لا داعي لإضاعة الوقت في الندم يا شاويش ... اقبل نصيحتنا واذهب لمقابلة البوَّاب.

صاح الشاويش بانفعال: إنني لا أقبل نصيحةً من مجموعة أطفال مثلكم ... سوف أقبض على «بائع البالونات» ... سأقبض عليه ... دون نصائحكم!

وابتعد الشاويش، ثم ركب درَّاجته ومضى ... ووقف المارَّة الذين في الشارع يتفرَّجون على الشاويش وهو يحمل البالونات وارتفعَت منهم الضحكات ... وتضايق الشاويش وأخذ يلعن الجميع ...

قال «محب»: هيا بنا سريعًا.

تختخ: سننقسم إلى قسمَين ... أنا و«عاطف» سنذهب للبحث عن الولد الذي سلَّم لـ «عاطف» الرسالة ... وأنت و«لوزة» تذهبان لمراقبة البوَّاب ... وتبقى «نوسة» هنا حتى نتصل بها وقت الحاجة.

وقفز المغامرون الأربعة على درَّاجاتهم ... وانطلقوا إلى مهمَّتهم ... وسرعان ما وصل «عاطف» و«تختخ» إلى الشارع الذي وقعت به سرقة التحفة الثمينة ... نفس الشارع الذي تلقَّى فيه «عاطف» الرسالة من الولد المتشرِّد ... وأخذا يدوران في الشارع ... ولكن لم يكن هناك أثر للولد.

مضت ساعة في الذهاب والإياب دون نتيجة ... وأحسَّ المغامران بالتعب ... وكانت ساعة الغداء قد أوشكَت ... فقرَّرا العودة إلى المنزل على أن يستأنفا البحث في المساء.

لم يكَد «تختخ» يصل إلى منزله … حتى وجد «لوزة» في انتظاره … كان وجهها متضرِّجًا بالاحمرار وصاحت به عندما رأته: «توفيق»! … ألم أقل لكَ إن البوَّاب مشترك في السرقات. لقد ذهبنا للبحث عنه وفوجئنا أنا و«محب» أنه غادر مكانه مسرعًا بعد ظهور «بائع البالونات»، وأنه جمع حاجاته وسافر إلى بلدته في الصعيد حيث يصعب الوصول إليه.

من الذي خدع الآخر؟

كانت «لوزة» هي دائمًا صاحبة المفاجآت ... ولكن هذه المفاجأة كانت سيئةً للغاية ... فهذا يعني فقدان أحد الخيوط التي ستحل لغز «بائع البالونات» ... ولكن «تختخ» لم يفقد أعصابه وقال: لا بأس ... لقد طلبنا من ممثِّل القانون الشاويش «علي» ... أن يُحاول الحصول على معلومات منه، ولكنه لم يستمع إلى نصيحتنا ... بقي أن نعتمد على أنفسنا ... هذا المساء سأذهب مع «عاطف» للبحث عن الولد المتشرِّد ... وقد نتمكَّن عن طريقه من الوصول إلى شيء.

عندما هبط المساء في ذلك اليوم ... كان «تختخ» و«عاطف» في طريقهما إلى الشارع الثالث الذي وقعت فيه سرقة التحفة الغالية ... حيث جاء الولد المتشرِّد وسلَّم الرسالة لـ «عاطف» ... وكان الاثنان مصمِّمَين على الوصول إلى هذا الولد ... وتحدَّث «تختخ» إلى «عاطف» قائلًا: أنت تذكر بالطبع المكان الذي جاءك فيه الولد المتشرِّد؟

عاطف: طبعًا ... لقد كان قريبًا جدًّا من المنزل المسروق.

تختخ: ببساطة فإن الذي أرسل لكَ الرسالة يسكن في هذه المنطقة ... فمن المستحيل أن يكون قد مرَّ في هذا المكان ... في هذه الساعة ... بالمصادفة!

عاطف: هذا استنتاج صحيح!

تختخ: إذن فإن مجال بحثنا سيكون في هذا المكان بالضبط.

ووصل الاثنان إلى المكان وقد بدأ الظلام يهبط ... وكان الحظ حليفهما من اللحظة الأولى ... فقد لاحظ «عاطف» ولدًا صغيرًا يدخل إحدى العمارات وهو يحمل كميةً من الخبز، فأمسك بذراع «تختخ» مسرعًا وصاح بانفعال: هذا هو الولد!

تختخ: عظيم ... لقد بدأنا العمل الجدي.

أسرع الاثنان إلى مدخل العمارة، وقال «تختخ» ملاحظًا: من المدهش أنها نفس العمارة التي وقعَت بها السرقة.

وقف لحظات ... وكان «تختخ» يُتابع بعينَيه أرقام المصعد وهي تُضيء ... وعرف أن الولد قد ركب المصعد إلى الطابق الخامس ... وقال في نفسه: من المدهش أنه نفس الطابق الذي وقعَت به السرقة.

أخذ ذهن «تختخ» يدور بسرعة ... إن المسألة تحتاج إلى مزيدٍ من الاستنتاجات، ولاحظ «تختخ» أن المصعد بدأ يهبط مرةً أخرى ... ووقف هو و«عاطف» ... ينتظران ... وهبط المصعد ... ولكن الولد لم يهبط ... لقد نزلَت سيدة عجوز نظرت إليهما لحظات، ثم مضَت في طريقها.

مضت فترة ... وظهر بوَّاب ضخم الجسم قادمًا من غرفة داخلية، ونظر إلى «تختخ» و«عاطف»، ثم قال: ماذا تريدان؟

كانت لحظات حرجة، ولكن «تختخ» أسرع يقول: هل هذه العمارة رقم ١٦؟

قال البوَّاب: لا ... إنها العمارة المجاورة.

تختخ: شكرًا لك.

وخرج الصديقان، ووقفا في مكانٍ مظلم يرقبان باب العمارة ... وقال «عاطف»: من سوء الحظ أن «زنجر» مريض ... لقد كان من المفيد جدًّا لنا لو أنَّه موجود.

تختخ: نعم ... لا أدري ماذا أصابه؟ ... إنه يرفض أن يُغادر كوخه الصغير وقد بدا عليه الهزال.

عاطف: لا بد أن نذهب به إلى الطبيب البيطري غدًا.

في هذه اللحظة ظهر الولد المتشرِّد مرةً أخرى ... كان يُمسك بيده شنطةً من البلاستيك، وعرف الصديقان أنه ذاهب لشراء شيء ما.

تحرَّك الولد في اتجاه السوق ... وخلفه «تختخ» و«عاطف»، وهمس «تختخ»: هل أنتَ متأكِّد أنه هو؟

عاطف: هل تظن أنني أنسى في موقفٍ كهذا؟!

وصل الولد إلى السوق، وأخذ يشتري بعض الأطعمة والفاكهة ... وعندما انتهى من الشراء، وأخذ طريق العودة، قرَّر «تختخ» أن يبدأ، فاتجه إليه وقال: إنني أُريد أن أتحدَّث معك.

نظر الولد إليه باستهتارٍ وقال: ماذا تُريد؟

تختخ: إن «بائع البالونات» أرسلنا لك.

اتسعَت عين الولد ببريق الدهشة وقال: عم «سعيد»؟!

تختخ: نعم.

الولد: ولكنه كان هنا هذا الصباح ... لماذا لم يقل لي؟!

تختخ: لا نعرف ... لقد طلب منَّا أن نحضر إلى هنا، ونطلب منكَ أن تأتي معنا إليه، إنه يُريدكُ في مسألة هامة.

الولد: ولكن لا بد أن أذهب أولًا لتسليم هذه المأكولات إلى أصحابها!

تختخ: سننتظركَ حتى تنتهي من مهمَّتك.

وسار الثلاثة معًا ... وكان «تختخ» يتمنَّى أن يسأل الولد عمَّن أعطاه الرسالة في الصباح لتوصيلها إلى «بائع البالونات»، ولكنه كان يخشى أن يستريب الولد فيه ولا يأتي معه ...

وصلوا إلى الشارع الخامس ... وذهب الولد لتسليم الطعام، ووقف «تختخ» و«عاطف» في الانتظار ... ومضَت مدة أكثر من اللازم، وبدأ المغامران يشعران بالقلق. هل اختفى الولد؟ هل أحسَّ بشيء غير عادي؟ هل خرج من باب آخر في العمارة؟

ولكن بعد ثوانٍ قليلة من هذه الأسئلة ظهر الولد مرةً أُخرى في مدخل العمارة ... وأخذ ينظر حوله، ثم خرج إلى الشارع، واتجه إلى حيث يقف الصديقان، وقال: هل طلب عم «سعيد» منكما أن تأتيا معي؟

تختخ: نعم.

الولد: أنتما إذن تعرفان مكانه؟

تختخ: لا لقد قابلنا بالمصادفة.

الولد: ولماذا تأتيان معي؟

تختخ: لا نعرف ... هذا هو ما طلبه!

الولد: إذن هيا بنا.

وسار الثلاثة ... وبعد دقائق خرج من الشوارع الواسعة إلى بعض الحواري الضيقة ... وعرف «تختخ» من الاتجاه أنهما يسيران إلى عزبة «فهمي» في نهاية المعادي ... حيث المنازل الصغيرة، والعشش، والأكواخ ... وأحسَّ «تختخ» ببعض القلق ... شيء ما في نفسه كان يُحدِّثه أنهم متبوعون بشخصٍ ما ... كان يشعر أن ثمَّة نظراتٍ تتبعه ... ولكنه قرَّر ألَّا يلتفت حوله مطلقًا حتى لا يُنبِّه من يتبعهم أنه أحسَّ بوجوده.

ظلُّوا يسيرون داخل عزبة «فهمي» حتى مشارف الصحراء الواسعة ... وقلَّت حركة المارَّة حتى انعدمَت، وأصبحوا وحدهم ...

وأحسَّ «تختخ» بمن يتبعهم وهو يقترب منهم سريعًا، وقرَّر أن يلتفت، ولكن بعد فوات الأوان ... فعندما أدار رأسه شاهد وجه الرجل في الظلام ... لم يتبيَّن ملامحه جيدًا ... كل ما رآه منه عيناه اللتان كانتا تتوهَّجان بالغضب والشراسة ... ثم فاجأته ضربة موجعة من عصًا على رأسه ... وسقط على الأرض وغاب عن وعيه تمامًا.

عندما استيقظ «تختخ» بعد فترة لا يعرف مداها، وجد نفسه مقيَّدًا وملقًى على الأرض في غرفةٍ من الصفيح، وبجواره «عاطف» ... أخذَت عيناه تألفان الظلام تدريجيًّا ... وشاهد ما حوله ... كانت هناك أشياء كثيرة قديمة متناثرة في كل مكان ... إطارات سيارات، ودرَّاجات قديمة ... كمية من الأسلاك والحبال معلَّقة ... عشرات من الأحذية البالية ... صناديق خشبية مكسَّرة ... وقُرب وجهه رأى فأرًا يُنظِّف أنفه بيدَيه ... وأخذ هو والفأر يتبادلان النظرات لحظات ... ثم قفز الفأر مبتعدًا ...

كانت يداه مربوطتَين خلف ظهره، وساقاه مقيَّدتَين جيدًا ... وعلى فمه منديل مربوط بشدة ... وكان رأسه يُؤلِمه من أثر الضربة ... وأخذ يُفكِّر في الساعات التي مضت ... وعرف أنه كان يجب أن يتصرَّف قبل أن يُهاجمهما ذلك الشخص، ولكن رغبته في الوصول إلى «بائع البالونات» جعلَته ينسى حذره.

بعد لحظات بدأ «عاطف» يفتح عينَيه ... وأخذ يُحدِّق لحظات حوله حتى التقَت عيناه بعينَي «تختخ» ... وتفاهما دون كلمات ... إنهما في مأزق مخيف فلا أحد يدري أين هما الآن!

سمعا صوت حديثٍ يدور في الغرفة المجاورة ... كان حديثًا هامسًا في البداية، ثم بدأت الأصوات ترتفع بكلمات ... كان شخصان يتبادلان الاتهامات ... وكلٌّ منهما يُلقي بالتهمة على الآخر.

كان أحدهما يقول: كيف تفعل ذلك؟

ردَّ الآخر: لقد كان بعيدًا عني ... وكان يلبس نفس ملابسك!

الأول: أنت أعمى إذن!

الثاني: قلتُ لك ... كان بعيدًا عني!

الأول: نحن الآن في مأزق حقيقي!

الثاني: لا تخَف ... سأُعطيك مبلغًا كبيرًا وتستطيع الفرار بعيدًا أنتَ والولد ... كل ما أطلبه منكما التخلُّص من هذَين الولدَين ... إنهما يعرفان الكثير!

الأول: وكيف نتخلَّص منهما؟!

الثاني: هذه مهمَّتك … إنني أحتاج إلى أسبوع واحد أُجهِّز نفسي للسفر خارج البلاد … ولن أعود مرةً أخرى.

الأول: الحل أن نتركهما هنا.

الثاني: هذا خطر؛ فيحتمل أن يكون قد شاهدهما أحدٌ ونحن نحملهما إلى هنا!

تحدَّث الولد فقال: لم يكن هناك أحد.

الثاني: من الأفضل نقلهما بعيدًا … وأنا أقترح أن ننقُلهما إلى بلد «مصطفى» في الصعيد.

الأول: لقد هرب «مصطفى» ولا أظن أنه سيذهب إلى بلده … فمن السهل جدًّا على رجال الشرطة متابعته والوصول إليه.

الثاني: إذن سأُحضر لكما سيارة نقل مغطَّاة، تنقلان فيها الولدَين إلى مكانٍ بعيد، ثم يبقيان معكما أسبوعًا، وتهربان، وعند عودتهما إلى المعادي نكون جميعًا ابتعدنا بما يكفي.

الأول: ومتى تأتي السيارة؟

الثاني: بعد ثلاث ساعات، والسائق كان يعمل عندي وهو موضع ثقتي تمامًا، ولن يتحدَّث بما سيُشاهده.

الأول: والنقود؟

الثاني: سأُحضرها معي.

وسمع «تختخ» و«عاطف» صوت أقدام تبتعد، ثم ساد الصمت من جديد.

قطعة المنشار الصدئة

كان على المغامرَين أن يتصرَّفا بسرعة ... فإذا تمَّ نقلهما إلى السيارة المغلقة وسارت بهما بعيدًا إلى حيث لا يدريان ... فلا أحد يمكن أن يتبعهما ويعرف مكانهما، وهما لا يعرفان إلى أين ستذهب السيارة ... وما هي النهاية بعد كل ذلك!

أخذ «تختخ» و«عاطف» يتبادلان النظرات ... كانت كافيةً ليفهم كلٌّ منهما الآخر ...

وهكذا بدأ كلٌّ منهما يُحاول التخلُّص من قيده ... ولكن ذلك كان عبثًا ... فقد كانت الأربطة قويةً ومحكمة ... ودارت برأس «تختخ» فكرة ... ففي مثل هذه الغرفة التي تُشبه المخزن لا بد من وجود شيء حاد ... شيء قديم يمكن استخدامه للتخلُّص من هذه القيود ... وأخذ ينظر في الظلام ويُدير رأسه هنا وهناك ... وفهم «عاطف» ما تعني هذه الحركة ... فأخذ هو الآخر ينظر حوله باحثًا عن شيء مماثل لما فكَّر فيه «تختخ» ...

كانت خيوطٌ من الضوء تنفذ خلال جدران الغرفة الصاج ... وتتبَّع «تختخ» بعينَيه هذه الأشعة الرفيعة ... وفي نهاية إحداها شاهد شيئًا يلمع ... أخذ يُدقِّق النظر فيه ... ووجد أنه قطعةٌ من منشارٍ قديم قد علت أجزاءً منه طبقةٌ من الصدأ ... وبقي الجزء الآخر يلمع. وأخذ «تختخ» يزحف على جانبه إلى حيث قطعة المنشار ... كانت محاولةً مضنية؛ لأنه كان يزحف كثعبان مضروب ... وكانت المسافة بعيدة ... وجسده يتألَّم من القيد ... ومن بعض الأشياء المدبَّبة التي كان يمر عليها ... ولكنه في النهاية وصل إلى قطعة المنشار ... واستجمع كلَّ قوته، ومدَّ يدَيه المربوطتَين وأمسكها بأصابعه ... ولكن قطعة المنشار كانت تحت مجموعة من قطع الحديد الثقيل ... وأخذ يُحاول جذبها ... فأدمَت أصابعه ... ولكنه استمرَّ في المحاولة والعرق ينضح من جسده ووجهه، ويسقط في عينَيه فيلهبهما ... ولكنه استمرَّ في المحاولة.

وأخيرًا استطاع أن ينتزعها من مكانها، وأحسَّ بارتياحٍ شديد ... كانت لا تزال تحتفظ بحِدَّتها برغم الصدأ، وكان طولها نحو عشرة سنتيمترات. أمسكها بأصابعه، ثم أخذ يزحف عائدًا إلى مكانه ... واقتضى هذا بعض الوقت وكثيرًا من الجهد ... ولكن لا بد أن يعود ... ولحسن الحظ أنه عاد إلى مكانه في نفس الوقت الذي فُتح فيه الباب، وظهر رجل مخيف لم يشكَّ الاثنان لحظةً أنه «بائع البالونات» ... وتذكَّرا قول «حسام» إنه يُشبه الفأر ... لقد كان يُشبه الفأر فعلًا ... اطمأنَّ الرجل إلى وجودهما، ثم أغلق الباب الفاصل بين الغرفتَين، وعاد يتحدَّث إلى الصبي حديثًا هامسًا لم يستطِع المغامران أن يسمعاه.

مرَّ الوقت بطيئًا، واستطاع «تختخ» بالنظر إلى ساعته الفسفورية أن يعرف أن الساعة قد تجاوزَت الواحدة صباحًا ... فإذا كان الرجل الذي سيحضر السيارة قد انصرف منذ ساعة ... فمعنى هذا أنه سيأتي في الثالثة صباحًا تقريبًا.

كان المغامران يشعران بالتعب والجوع ... ولكن «عاطف» عندما شاهد قطعة المنشار الصدئة في أصابع «تختخ» أحسَّ بقدرٍ من الانتعاش ... ففي إمكانهما الآن أن يهربا ... ولكن ... «تختخ» كان يُفكِّر في شيء آخر ... فإنهما إذا هربا الآن، فهناك احتمالان؛ الأول: أن يشعر بهما الرجل والولد فيقع صراع لا أحد يدري كيف ينتهي ... والثاني: أن يتمكَّنا من الهرب فيهرب الولد والرجل «بائع البالونات»، وربما لا يُعثر لهما على أي أثر بعد ذلك ... كان الحل الذي فكَّر فيه «تختخ» هو الحل الأفضل ... أن يركبا السيارة، ثم يُحاولان الهرب منها ... وتخيَّل سيارة النقل المغلقة ... إنها في العادة تُغلَق بلسانٍ من الحديد يمكن تحريكه من الداخل ... فإذا استطاع أن يُحرِّر يدَيه وقدمَيه هو و«عاطف»؛ فسوف يتمكَّنان من الهرب من السيارة ومتابعتهما ...

وعندما وصل تفكيره إلى هذا الحد استسلم للنوم ... وعرف «عاطف» أنه وصل إلى خطةٍ محدَّدة ... فنام هو الآخر.

استيقظ «تختخ» و«عاطف» على الأيدي وهي تحملهما إلى السيارة ... كان «تختخ» قد أخفى قطعة المنشار تحت قميصه ... وسرعان ما كانا موضوعَين داخل صندوق السيارة، وأخذ «تختخ» يستمع بقلب واجفٍ إلى طريقة إغلاق السيارة ... هل كان هناك قفل؟ ... لا ... إنه اللسان الحديد العادي الذي تُغلَق به سيارات النقل ... ورقص قلبه طربًا ... لقد نجح نصف خطته ... وبقي النصف الأهم.

بعد لحظات تحرَّكت السيارة ... وأخذت تهتزُّ في الطريق غير الممهَّدة فترة، قبل أن تصل إلى الشوارع المرصوفة ... وكان ذهن «تختخ» يعمل بسرعة ... لقد أفادته ساعات

النوم ... كان يُحس بالجوع حقًّا وبالآلام في جسده، ولكن ذهنه كان يقظًا ... كانت خطته الأولى أن يهرب هو و«عاطف»، ولكنه أخذ يُعدِّل في خطته ... فلو هربا معًا فقد تُفلت منهما السيارة ... صحيح أنهما سيأخذان رقمها، ولكن البحث عنها بعد ذلك سيأخذ وقتًا طويلًا، أو قد يكون الرقم مزيَّفًا فلا يستطيعون الوصول إليها ... وعلى هذا فقد قرَّر أن يبقى هو ويذهب «عاطف» لإخطار الشاويش وبقية المغامرين.

وعندما استقرَّ على هذا الرأي أخرج قطعة المنشار من تحت القميص بتحريكها بإصبع واحدة حتى خرجَت من فتحة القميص، ثم أمسكها بأصابعه، وقرَّر أن يفك وثاق «عاطف» أولًا ... ولم يأخذ هذا منه إلا بضع دقائق، واستطاع قطع الحبل ... ولم يكَد «عاطف» يفك يدَيه حتى سارع برفع المنديل المربوط على فمه ... فقد كان يُحس أنه يكاد يختنق ... وفي لحظاتٍ كان المغامران قد فكَّا جميع الأربطة ... وتبادلا ابتسامةً في ظلام السيارة التي كانت تقطع الطريق بسرعة.

همس «تختخ»: إنني أكاد أتصوَّر الطريق الذي تقطعه السيارة.

عاطف: وأنا أيضًا ... إنها الآن في الطريق إلى مزلقان السكة الحديد، وسوف تعبره وتسير رأسًا إلى كورنيش المعادي ... بعدها سيكون أمامها أن تتجه إلى القاهرة أو حلوان.

تختخ: أُرجِّح أنها ستأخذ طريق حلوان ... فهناك يمكن أن تغوص جنوبًا في القرى الكثيرة المنتشرة على طريق «المرازيق–الجيزة»، كما أنها يمكن أن تتجه إلى بني سويف.

عاطف: وما هي خطتك؟

تختخ: ستنزل أنت عند المزلقان ... لأن السيارة ستُضطر إلى تخفيض سرعتها هناك، سواء كان القطار قادمًا أو غير قادم ... فقضبان القطار لا تسمح بالسرعة ... خاصةً أنها سيارة قديمة.

وقف الصديقان عند باب السيارة الخلفي ... وأمسك «تختخ» بقطعةِ المنشار وأخذ يجس بها مكان اللسان الحديدي الذي يُغلق الباب حتى عثر عليه ... وانتهز فرصة سير السيارة على بعض المطبات، وارتفاع صوتها، فحرَّك اللسان فخرج من مكانه وتدلَّى جانب السيارة.

وصلت السيارة إلى المزلقان كما توقَّع «تختخ»، وبدأت تُهدِّئ من سرعتها، وقال «تختخ» لـ «عاطف»: اذهب فورًا إلى منزل الشاويش ... ومعك رقم السيارة، واطلب منه الاتصال بقسم حلوان حيث الرائد «سيد هندي» ... إنني متأكِّد أن السيارة ستتجه إلى حلوان وليس القاهرة ... وبعدها اذهب أنت إلى منزلنا، إذا وجدتَ والدي مستيقظًا فقل

له إنني بخير ... وسأحضر في الصباح ... وحاول أن تجعل «زنجر» يأتي معكم في اتجاه حلوان ... إنه سيعرف أنني مخطوف ما دمت لم أمرَّ به في المساء.

هدَّأَت السيارة من سرعتها حتى غدَت تمشي ببطء من فوق القضبان، وارتفع صوت العجلات فغطَّى على صوت باب السيارة وهو يُفتح، وقفز «عاطف» وأغلق «تختخ» الباب، وانحنى «عاطف» تحت السيارة وحفظ الرقم سريعًا، وكان بسيطًا لا يمكن نسيانه؛ ٩٦٠٠٦، نقل جيزة ... وانتظر «عاطف» على جانب الطريق حتى ابتعدت السيارة، ثم أطلق ساقَيه للريح ... وفضَّل أن يذهب أولًا إلى منزلهم لإحضار درَّاجته ... كان منزله أقرب من منزل الشاويش.

عندما وصل إلى هناك كان الضوء يشع من غرفته، وعرف أن «لوزة» لا تزال ساهرة، فأطلق نعيب البومة المعتاد، وسرعان ما أطلَّت من النافذة، ثم نزلت مُسرعة ... كان «عاطف» يُخرج درَّاجته عندما أحاطته «لوزة» ... بذراعَيها وهي تكاد تبكي.

قال «عاطف» بسرعة: «توفيق» مخطوف في سيارة رقم ٩٦٠٠٦ نقل جيزة، تتجه الآن إلى حلوان وبها «بائع البالونات» ... خذي درَّاجتك وأسرعي إلى «محب» و«نوسة»، وهاتي «زنجر» معك ... واتجهوا جميعًا إلى حلوان ... وقابلوا الرائد «هندي».

لوزة: لحسن الحظ أنهما مستيقظان.

قفز «عاطف» إلى درَّاجته، وأطلقها بأقصى سرعة إلى منزل الشاويش «علي»، وسرعان ما كان يقف أمام الباب، فقفز وأخذ يدق الباب بشدة ... مضت فترة دون أن يفتح أحد ... وأحسَّ «عاطف» بالقلق ... هل الشاويش خارج منزله؟!

ولكن بعد دقَّات أخرى قوية شاهد الضوء في غرفة الشاويش ... ثم سمع أقدامه ... وسمع صوته وهو يسب ويلعن هذا الطارق في هذه الساعة من الليل.

وصاح «عاطف»: افتح بسرعة أيها الشاويش!

فتح الشاويش الباب وهو في ملابس النوم وقد بدا الغضب على وجهه، وقال «عاطف» دون مقدمات: «بائع البالونات» اللص خطف «توفيق» في سيارة نقل رقم ٩٦٠٠٦ نقل جيزة، وهي تتجه الآن إلى حلوان ... اتصل بالرائد «هندي»!

صاح الشاويش: إنكم تُقلقون نومي ... هذا كلام فارغ.

لم ينتظر «عاطف» ليسمع صياح الشاويش ... كان جائعًا ومتعبًا، لكن صديقه الآن في طريق مجهول لا يعرف أين يذهب ... وعليه أن يبذل أقصى ما في جهده ... وهكذا أطلق درَّاجته مرةً أخرى في طريق حلوان، وكان يُسابق الريح ...

في هذه الأثناء كان «تختخ» يحسب المسافة التي تقطعها السيارة ... وكان يعرف من المنحنيات والملفَّات إلى أين تتجه السيارة ... لقد صدق حسه وهو الآن في الطريق إلى حلوان، ثم المرور ببطء على كوبري حلوان العالي؛ فالكوبري ضيق، السيارات تسير في اتجاهَين ... ثم مضت السيارة مرةً أخرى بعد أن غادرَت الكوبري ... ثم انحرفَت يمينًا وسارت نحو كيلومترَين، ثم انحرفَت بشدة، ومضَت في طريق نصف ممهَّد.

المفاجأة

انطلق «عاطف» على درَّاجته يُسابق الريح ... كان متأكِّدًا أنه لن يلحق بالسيارة إذا ظلَّت تسير ... ولكن إذا توقَّفَت في بعض الأماكن؛ فلعل ذلك يكون ممكنًا ... وفي نفس الوقت كان المغامرون الثلاثة ... «محب» و«نوسة» و«لوزة»، ومعهم «زنجر»، في سلة خلف «لوزة» يجرون معًا أيضًا في اتجاه حلوان ...

وكان الشاويش قد فكَّر لحظات، ثم خشي أن تكون المعلومات صحيحةً فيضيع وقتًا هامًّا ... فأسرع يرتدي ثيابه، ثم قفز على درَّاجته، وانطلق إلى القسم ... ومن هناك اتصل بقسم حلوان، ولكنه لم يجِد الرائد «سيد هندي» ... لقد كان في منزله، ويحل محلَّه النقيب «هشام» الذي التقط رقم السيارة، ثم قفز في سيارته الجيب وسار في طريق كوبري حلوان ... وهناك كان جندي المرور واقفًا فصاح به: هل مرَّت بك سيارة نقل رقم ٩٦٠٠٦ جيزة؟!

حيَّا الجندي الضابط باحترام، ثم قال: نعم يا سيدي الضابط ... منذ نحو خمس دقائق فقط. أطلق النقيب «هشام» ... لسيَّارته العِنان، وكان معه فيها ثلاثةٌ من الجنود المدجَّجين بالمدافع الرشَّاشة ... ومن بعيدٍ شاهد أنوار سيارة نقل انحرفَت يمينًا، فسارع خلفها ... ولكنه عندما وصل إلى الملف الذي دارَت فيه السيارة لم يجد لها أثرًا.

توقَّف الضابط لحظاتٍ يُفكِّر ... ماذا حدث لهذه السيارة؟ إنه يعرف أن الطريق الذي مضَت فيه هو طريق يشق قرية «المرازيق» إلى نصفَين، ولكن في هذا الطريق ملفَّات كثيرة على اليمين والشمال، ومن الصعب تتبُّع السيارة.

لم يكن أحدٌ مستيقظًا في هذه الساعة المبكِّرة من الصباح ليسأله ... ولكن أذان الفجر انطلق في هذه اللحظة ...

وبدأَت بعض المنازل على الطريق تفتح أبوابها ... والتقى أحد الخارجين بالضابط الذي سأله عن نهية الطريق، فقال الرجل: إنه يتجه إلى شاطئ النيل ثم ينحرف يسارًا ...

حيث توجد مصانع الطوب الأحمر، وحيث تكون حركة سيارات النقل ... وسرعان ما قفز الضابط إلى سيَّارته وانطلق.

في هذه الأثناء كان الشياطين الثلاثة قد لحقوا بـ «عاطف» ... الذي كان يتحدَّث مع الجندي الواقف عند كوبري حلوان ... وعرف الأربعة أن الضابط «هشام» قد سبقهم ... فانطلقوا خلفه ... وعند قرية «المزاريق» توقَّفوا أمام مجموعة من الزارعين كانوا يتحدَّثون عن الضابط الذي يُطارد سيارة نقل، وعرفوا أنها السيارة التي بها «تختخ».

انطلق الجميع في طريق «المرازيق» ... وسمعوا صوت سيارة الضابط وهي تعود، ثم شاهدوا أنوارها بين أشجار النخيل ... وأشاروا له بالوقوف وقالوا له إنهم أصدقاء الولد المخطوف ... ومعهم كلبه «زنجر» الذي يستطيع أن يستدل عليه.

قال النقيب «هشام»: لقد قطعتُ الطريق ذاهبًا آيبًا دون أن أعثر للسيارة على أثر!

أشارت «نوسة» إلى آلافٍ من أشجار النخيل العالية الكثيفة، ثم قالت: من المؤكَّد أن السيارة مختفية خلف هذا النخيل ... فدعنا نُجرِّب «زنجر» ...

وقفز «زنجر» عند سماع اسمه ... وأخذ يتشمَّم الهواء عميقًا، ثم اتجه ببطء ناحية طريقٍ جانبي مترب مختفٍ خلف النخيل ... وخلفه انطلق الضابط ورجاله ... والمغامرون الأربعة.

سار «زنجر» نحو كيلومتر في الطريق المترب ... ثم نبح نباحًا عاليًا، وانطلق يجري بسرعةٍ خارقةٍ وخلفه الجميع ... وعند انحرافٍ صغير في جانب الطريق ... بدَت سيارة النقل في ضوء الفجر الشاحب، وقد وقفَت مكانها ... وكان بابها الخلفي مفتوحًا، ولم يكن هناك أثر لـ «تختخ».

قفز «زنجر» داخل السيارة وهو ينبح بشدة، ثم عاد يقفز خارجًا منها، وانطلق بين النخيل، حتى أشرف على منزلٍ وحيد من الطوب النيئ ... مظلم لا أثر للحياة فيه ...

وأطلق رجال الشرطة كشَّافاتهم ... وشاهدوا ما أثار دهشة الجميع؛ كان «تختخ» مشتبكًا مع رجلٍ قصير القامة ... وكان الرجل يُمسك خنجرًا يلمع ... وهو يُحاول أن يضرب «تختخ» الذي أمسك بذراعه وثناها إلى الخلف بشدة ...

وصاح الضابط: قف عندك!

وأطلق الضابط رصاصةً من مسدَّسه في الهواء ... فتوقَّف المتشابكان.

وصاح الرجل: يا حضرة الضابط ... أنا مظلوم ... إنني لستُ لصًّا!

صاحت «لوزة»: بل أنت لص ... لقد ظهرتَ في كلِّ مكانٍ حدثَت به سرقة!

انفجر الرجل باكيًا وهو يقول: أُقسم لكَ يا حضرة الضابط أنني لستُ لصًّا!

وقف الجميع مذهولين أمام كلام الرجل ... كان واضحًا أنه يقول الحق ... فما هي الحقيقة إذن؟!

قال الضابط: سنذهب جميعًا إلى القسم ... وهناك سنعرف الحقيقة!

قال «تختخ»: من الأفضل يا حضرة الضابط أن تُرسل بعض رجالكَ للقبض على رجل يُقيم في شارع ٥ بالمعادي.

الضابط: هل تعرف اسمه وعنوانه؟

تختخ: سنحصل عليها من هذا الرجل ... إنه يعرفه جيدًا.

قال «بائع البالونات»: إنه الرجل الذي ورَّطني في هذه العمليات الإجرامية ... لقد طلب مني طلبًا بسيطًا ... ولم أكن أدري ما يحدث.

الضابط: لا تُضيِّع وقتنا ... ما اسم الرجل وعنوانه؟

الرجل: اسمه الأستاذ «فاروق شاكر»، وعنوانه العمارة رقم ١٦ الدور الخامس. أمر الضابط بعض جنوده بالاتجاه إلى المكان والقبض على الرجل وإحضاره إلى قسم حلوان، ثم ترحيله بعد ذلك إلى قسم المعادي ...

وبعد نصف ساعة من هذه الأحداث كان الجميع في القسم ... الضابط ... والمغامرون الخمسة، و«زنجر» ... وبائع البالون ... والمدعو «فاروق شاكر»، والشاويش «علي».

وقال الضابط موجِّهًا حديثه إلى «تختخ»: والآن عليكَ أن تروي لنا ما حدث بالنسبة لكم ... ورأيكَ في أقوال «بائع البالونات» هذا.

قال «تختخ»: لقد أرسل لنا صديقنا المفتش «سامي» رسالةً يطلب فيها التدخُّل لحل لغز السرقات الخمس التي تمَّت في المعادي بأسلوبٍ واحد.

الضابط: نعم ... لقد سمعتُ عنها.

تختخ: كان يسبق حدوث كلِّ سرقةٍ ظهور «بائع البالونات» في الصباح أمام المكان الذي سيُسرق ... ثم تتم السرقات في الليل.

الضابط: شيء مثير!

تختخ: وبالطبع كان لا بد من عمل التحريات اللازمة للوصول إلى اللص ... وكانت الشبهات كلها متجهةً إلى «بائع البالونات» ... فهو الظاهرة المتكرِّرة عند كل سرقة.

الضابط: تمامًا.

قال «تختخ»: وسأروي في شهادتي الرسمية كيف توصَّلنا إلى هذا البائع ... وببساطةٍ فقد تنكَّر أحد زملائي — وأشار إلى «عاطف» — في شكل «بائع البالونات» ... وكانت

النتيجة أن وصلته رسالة من «فاروق شاكر» يطلب منه الابتعاد فورًا ... كما وصله تحذير من البوَّاب «مصطفى» ... ومعنى هذا أنهما على علاقة به ... وقد راقبنا المنزل وعثرنا على الولد الصغير الذي حمل الرسالة ...

صاح الشاويش: إذن ف «بائع البالونات» الذي طاردتُه كان هذا الولد ... إن هذا ...

قاطعه الضابط بهدوء: من فضلك يا حضرة الشاويش ... ولم يُكمل حديثه.

تختخ: وقلنا لهذا الولد إن «بائع البالونات» ... واسمه «سعيد» يُريد أن يراه ... فخدَعَنا وأخذَنا إلى هناك، في حين كان يتبعنا «فاروق» الذي ضربنا أنا وزميلي «عاطف» ... ثم خُطِفت ... وبقية القصة تعلمها ...

وسكت «تختخ» لحظات، ثم قال: وإذا كان «سعيد» «بائع البالونات» صادقًا في أنه لم يسرق شيئًا ... فإنني أعتقد أن المتهم «فاروق» وضع خطةً بارعة ... هي الاتفاق مع «بائع البالونات» على الظهور في مكان السرقات حتى تُلقى الشبهات عليه ... ثم يقوم هو بالسرقات دون أدنى شبهة ...

نكَّس «فاروق شاكر» رأسه ... لقد كان الاستنتاج صحيحًا ... ولكن «تختخ» أضاف: هناك ملاحظة غريبة ... إن السرقات كلها لا قيمة لها ... عدا السرقة الثالثة التي تمَّ فيها الاستيلاء على آنية ثمينةٍ تُساوي بضعة ألوف من الجنيهات، وقد تمَّ سرقتها من صديق «فاروق» الحميم ... وهذا ما لا أستطيع تفسيره!

التفتَ الضابط إلى «فاروق» وقال له: والآن عليك أن تتكلَّم.

قال «فاروق» بصوت نادم: إن استنتاجات هذا الشاب صحيحة كلها ... لقد طلبتُ من «مصطفى» وكان يعمل في الأصل في العمارة التي أسكن بها أن يُعرِّفني على شخصٍ يبيع البالونات ... فأحضر لي هذا الرجل ... وطلبتُ منه أن يتردَّد على الأماكن التي أنوي سرقتها ... ولم يكن بالطبع يعلم بمسألة السرقات!

الضابط: وما هي حكاية الآنية الثمينة؟

فاروق: لقد أردتُ الاستيلاء على هذه الآنية بأية طريقة ... ولو سرقتُها وحدها لأحاطَت بي الشبهات ... لهذا قرَّرتُ أن أقوم بمجموعةٍ من السرقات تكون الآنية إحداها ... بحيث يبدو لرجال الشرطة أنها سُرقت ضمن سرقات أخرى ... وليست مقصودةً بذاتها ... ولكن هذا الولد استطاع استنتاج الحقيقة ... إنني آسف لما فعلتُه ...

الضابط: الآن لا ينفع الندم …

ثم التفتَ إلى المغامرين الخمسة قائلًا: لقد سمعتُ عنكم من زميلي الرائد «سيد هندي»، ولم أكن أتصوَّر أنكم على هذا القدر من البراعة … أشكركم كثيرًا على مساعدتكم للعدالة.

قالت «لوزة» موجِّهةً حديثها إلى «فاروق»: هل ما زال عندك فستان السيدة «نعمات»؟

فاروق: نعم عندي.

ابتسمَت «لوزة» قائلة: الحمد لله … لقد وعدتُها بإعادته إليها … وقد جمعتُ لها النقود التي ستدفع منها الإيجار.

وابتسم المغامرون لها … وهم يُغادرون قسم حلوان في طريقهم إلى بيوتهم.


هنداوي